الكهوف في الشرق الأدنى

بقلم : سعدي الرويشدي
باحث علمي

مقدمة

شعر الانسان منذ زمن طويل بدافع قوي لاستكشاف اعماق الارض ، فاخذ يعارك الصخور ليغتصب من اعماق التربة المواد المختلفة كالفحم الحجري والمعادن المهمة ، ولم يقتصر عمله هذا على استخراج هذه المعادن بل ان غريزة حب الاستطلاع اثارت عنده الرغبة القوية في معرفة ما تحتويه بطون الكهوف التي هي نتاج القوى الطبيعية .

ان الشخص العادي الذي كان قد زار الكهوف اثناء تجواله او الشخص الذي عرف شيئا عن الكهوف من اوصافها لايستطيع التميز بين الانواع المختلفة منها ولكن يمكنه ان يضع فرقا بسيطاً فيما بينها ، وان ما يستطيعه هو تمييز الكهوف التي تظهر فيها الستلاكتايت التي تتدلى من سقوف الكهوف والتي تبدو بارزة للعيان ، وكذلك يستطيع ان يميز البلورات والصخور والكهوف الثلجية .. اما الاختصاصي بعلم الجيولوجيا فانه يميز عدة أنواع مختلفة من الحفر الطبيعية كالصخور البلورية والكهوف الشقية والكهوف المجوفة المتكونة بتأثير مياه البحر وكذلك الكهوف التي تكونت بواسطة عوامل التعرية والمياه وبالاضافة الى ذلك يستطيع تمييز المآوي الصخرية والكهوف الناتجة عن سقوط الارض ثم الكهوف الثلجية الخ ...

واذا ماانعدمت صفات الستلكتايت والستلكمايت في الكهوف فان العالم الجيولوجي يستطيع معرفة نوع الكهوف من عوامل جيولوجية وحيوانية بالاضافة الى عوامل اخرى هي التي تمكنه من معرفتها بشكل اكيد .[1]

(1) Anton Lübke, The world of Caves, (1958) PP. 166-170.

ان التقدم في استكشاف الكهوف قد حدث بصورة خاصة عام ١٩٥٢ حيث ان اغلبها لم تعرف من قبل ولاسيما تلك التي تقع في فرنسا وسويسرا وبريطانيا ، وان هذا التقدم الملموس قد اضاف الشيء الكثير الى علم الكهوف .

ولقد اثار اكتشاف كهف النياندرتال في المانية الرغبة لتقفي آثار الانسان البدائي والذي أدى الى معرفة بداية الجنس البشري وهل انه حقا تطور من القرود (APES) وان هذا لايتم الا بدراسة الهياكل العظمية التي استطاع علماء الاثار الحصول عليها في الكهوف التي نقبوا فيها في مختلف انحاء العالم .(٢)

هناك نوعان من الكهوف منها الطبيعية ومنها الاصطناعية وكلا هذين النوعين يمكن ايجادهما في مناطق مختلفة من العالم .

فالكهوف الاصطناعية قد عملت نتيجة لرغبة الانسان في العيش في مكان ملائم صحي وأمين وان هذا لم يحدث الا في فترات متأخرة وخصوصا في العصر الحجري الحديث ، وان سكنى الانسان في هذه الفترة بمثل هذه الكهوف قد مكنه من الحصول على المواد الضرورية للحياة .

اما الكهوف الطبيعية فقد سكنها الانسان منذ بداية العصر الحجري القديم وانها لم تهجر كليا حينما اخذ المناخ في الاعتدال .

اما حينما بدأ الانسان يسكن العراء فقد مارس اللجوء الى ملاجيء أخرى أكثر ملائمة للعيش والحصول على احتياجاته الجديدة .

لماذا يحفر بعض الناس الكهوف :

ان ارضية كل كهف مكونة من عدد من طبقات التربة وان كلاً من هذه الطبقات قد تكون في فترة تختلف عن الاخرى وان كلاً منها تحتوي على مواد حضارية تميزها عن الاخرى مثل العظام وقطع الصوان والكسر الفخارية والمواد المعدنية ومواد أخرى كثيرة كلها تركت في محلاتها فهي مخلفات الانسان الذي عاش في تلك الكهوف . لقد اتخذت التربة هذا الترتيب الطبقي في كل كهف واصبحت تختلف في متانتها ومظهرها وذلك بسبب الظروف المختلفة التي مرت عليها كالعوامل الجوية التي تغيرت من عصر لعصر وكذلك بسبب سكنى البشر والحيوان في داخل تلك الكهوف .

ان العثور على الكهوف يستوجب الذهاب الى بلدان قد تكونت فيها تلك الكهوف وبصورة خاصة ذلك البلد الذي تكون فيه طبيعة الارض كلسية .

فالعراق وايران وفلسطين وافغانستان وكذلك الاقطار المجاورة كلها تحتوي على سلسلة من احواض مجوفة تحف بها الجبال .(٣)

تكوين الكهوف :

انه لمن الواضح ان الكهوف كانت قد تكونت بواسطة قوى طبيعية مثل الزلازل والبراكين وكذلك بواسطة العوامل الطبيعية الاخرى مثل المياه وفعل قشرة الارض .(٤)

---

(2) Anton Lübke, The World of Caves, (1958), P. 13

(3) Carleton S. Coon, Seven Caves, (1957), P. 27.

(4) Anton Lübke, The World of Caves, (1958), P. 162.

ففي اوربا والشرق الادنى سكن الانسان في الكهوف منذ مدة تقارب المائة الف سنة حيث عاش فيها الانسان صيادا يجمع قوته ولهذا اطلق على هذه الفترة بـ « عصر جمع القوت » والتي تقع ضمن عصر البلايستوسين • ان الانسان عاش في تلك الكهوف منذ اكتشافه للنار وحتى العصر الحجري الحديث الذي انتقل فيه الانسان الى العراء واهتدى الى الزراعة واستوطن في اولى انواع القرى في بيوت مبنية من الطين •(٥)

ان الكهوف التي تكونت في أجزاء مختلفة من العالم تعتبر قليلة وانه بالتأكيد فان انسان العصر الحجري القديم (الباليولثيك)، قد عاش عند فتحة الكهف اكثر مما عاشه في داخل الكهوف نفسها ، والدليل على ذلك العثور على كميات هائلة من مخلفات الانسان التي تركها خارج الكهف •(٦)

ففي العصر الحجري القديم (الباليولثيك) والذي يؤرخ بحوالي مائتي الف سنة ظهرت جماعات انسان النياندرتال التي سكنت الكهوف وان سكنى هذا الانسان استمرت في الكهوف لمدة طويلة وفي ارجاء مختلفة من العالم القديم في اوربا وفي الشرق ، فاستطاع هذا الانسان من صنع الادوات الحجرية وشرع بدفن موتاه في الكهف الذي عاش فيه •

ان انسان النياندرتال قد انقرض الان ، وكان ذا قامة غير منتصبة تماما ولم يكن باستطاعته رفع رأسه بشكل منتصب أيضا •(٧)

وبدون شك فان الاشارات الاكثر احتمالا للحضارة البدائية ، ترتكز بالدرجة الاولى على الادوات والالآت التي صنعت من قبل انسان ما قبل التاريخ ، وليس هذا فحسب بل ان هناك أدلة ابعد من ذلك قد تم الحصول عليها من المخابيء الحجرية والكهوف التي تعود الى العصر الحجري القديم •

طريقة التنقيب في الكهوف :

ان التربة في أي كهف تشكل نوعا مختلفا من الصفات المميزة عن تلك التربة التي تشكل في أيّ تل من التلول • ففي الكهوف لا يعثر المنقب على جدران مبنية بالطابوق أو اللبن وحتى انه لايعثر على قبور كتلك التي تظهر في المواقع والتلول الاخرى •

اذن ماذا يجد المنقب في الكهوف ؟ ان ما يجده هي تلك الطبقات المتعاقبة لانواع مختلفة من التربة حيث ان كل طبقة قد تكونت اثناء فترة طويلة بواسطة عوامل جيولوجية متعددة • وفي مثل هذه التربة يمكن العثور على مواد حضارية متنوعة وبصورة خاصة تلك المواد القابلة للحفظ بالنسبة للظروف المحلية التي تحيط بالكهف نفسه •(٨)

ان اهم المناطق التي ساتطرق اليها في هذا البحث والتي عثر فيها على عدد من الكهوف هي : فلسطين ، العراق ، ايران ، وافغانستان •

(5) V. Gordon Childe, Man makes himself, (1961), P. 24, 49, 50.

(6) Carleton S. Coon, Seven Caves, (1957), P. 42.

(7) Robert J. Braidwood, Prehistoric Men, (1967), P. 31

(8) Carleton S. Coon, Seven Caves, (1957), P. 5.

١ ـ اهم الكهوف والملاجيء في فلسطين :

ان بلاد فلسطين مليئة بالكهوف والمخابيء التي تنتشر في اجزاء مختلفة والتي استعملت كمزارات ومحلات سكن من قبل الانسان •

ففي عام ١٩٢٨-١٩٣٤ نقبت بعثة مشتركة من قبل مدارس ابحاث ما قبل التاريخ الانكليزية والامريكية في كهف « مشبكه » القريب من الرملة والذي عثر فيه على جمجمة من النوع الزنجي وقيل عنها انها تعود الى العصر الحجري الوسيط ومنحدرة من نوع انسان النياندرتال •

اما في عام ١٩٣٥ ـ ١٩٣٨ فقد عثر على سبعة هياكل عظمية تعود الى انسان النياندرتال أيضا في جبل قفزه •

وفي كهف مغارة « ام قطافا » و « تابون » فقد عثر فيهما على ادوات صوانية متشابهة من حيث الصناعة وهذه الشظايا الصوانية في كلا الكهفين كانت أكثر شيوعا من مقابض الفؤوس من النوع المتاخر والتي تعود الى القسم الاخير من فترة العصر الجليدي الثالث ••

ولقد وضع باول كارگه تقريرا وضح فيه وجود مستوطنات في فلسطين ترجع الى العصور الحجرية وبصورة خاصة في كهفي « مغارة الاميرة » و « الزوتية » • ووجد فيها جماجم تشابه جماجم انسان النياندرتال ، ووجد كذلك مواد صوانية تعود الى العصر الحجري القديم ، وان من بين المواد الحضارية التي عثر عليها والتي تعتبر الرئيسية من حيث صناعتها هي الشفرات الصوانية الطويلة وكذلك المقاشط الصوانية مع ادوات عظمية معمولة •

وعلى المنحدرات الغربية لتل الكرمل استكشفت اعداد كبيرة من الكهوف التي استعملت كملاجيء للانبياء بحثا عن العزلة •

وهناك كهف آخر في فلسطين في الديرات يقع على طريق سكة الحجاز وانه قد استكشف تحت المدينة الحالية •

وتعتبر مدينة القدس غنية بالكهوف والملاجيء حيث ان هناك ملجأ يقع الى الشرق من المسجد الاقصى يعرف بـ « اصطبل سليمان » • وبالقرب من بوابة دمشق والى الخارج من مدينة القدس يقع كهف « جرمية » •(٩)

ان اغلب الملاجيء والكهوف التي نقبت في فلسطين تعود الى العصور الحجرية سواء أكانت قديمة أم حديثة ، وهناك وكما اسلفت ملاجيء متاخرة استعملت في الفترات المتأخرة •

٢ ـ اهم الكهوف والملاجيء في العراق :

ان الدراسات الاولى لفترة العصر الحجري القديم في بلاد ما بين النهرين قد قامت بها الاستاذة دوروثي كارود عام ١٩٢٨ • فقد صرحت بانه في بداية العصر الحجري القديم كانت هناك جماعات من البشر قد سكنت الكهوف في العراق ولكن في منتصف هذا العصر اى عند بزوغ الحضارة المستيرية اخذ الانسان يسكن العراء •

وان معرفة عمر الكهوف قد تمت من نتائج الدراسات لحالات معينة مثل الجيولوجيا وصناعة الحجر وطريقة العيش •

(9) Anton Lübke, The World of Caves, (1957), PP. 44-48.

ان اهم الكهوف التي سكنها الانسان القديم في بلاد مـــا بين النهرين والتي ترجع الى العصر الحجري القديم والوسيط هي :

١ ـ كهف شانيدار :

يقع هذا الكهف في جبال زاكروس قـــرب الزاب الاعلى وعلى ارتفاع ٧٦٥م • ان فتحـــة الكهف تقدر بـ ٢٥م وارتفاعه ٨م وطوله ٤٠م • نقبت في هذا الكهف بعثة امريكية من جـــامعة مشيكان برئاسة الدكتور رالف سوليكي عـــام ١٩٥١ •

ان السكنى حدثت في العصر المستيري ان لم تكن في العصر الحجري القديم وان الحـــالات الحضارية التي جاءت من كهف شانيدار قد قدرت من ٧٥/٠٠٠ ـ ٥٠/٠٠٠ سنة وهذا التقدير قد تم الحصول عليه بواسطة طريقة تحليـــــل كاربون ١٤ •

حصلت البعثة على مواد حجرية وصوانيـــة مختلفة وكذلك عظام الهياكل العظمية ومـــواد الفحم الحجري كلها ظهرت في اربع طبقات[١٠] • تبـــدأ بالحـــرف "A" من الاعـــلى وتنتهي بالطبقة الرابعة "D" •

فالطبقة "A" سمكها حوالى خمسة اقـــدام وتعود لفترة العصر الحجري الحديث وربمـــا لما قبل ٧٠٠٠ سنة • عثر في هذه الطبقة على كميات كبيرة من الرماد وعظام حيوانات أليفة وهواوين مصنوعة من الحجر •

اما الطبقة "B" فقد ظهـــرت مباشرة تحت الطبقة "A" ، وتعود بزمنها كما جاء من نتيجة تحاليل طريقة كاربون ١٤ الى العصر الحجري الوسيط اى قبل حوالي ١٢٠٠٠ سنة • وقـــد احتوت هذه الطبقة على مواد بدائية لاناس لم يكونوا قد عرفوا الزراعة بعد ولم يكونوا قد عرفوا تدجين الحيوان ايضا • وتحت طبقة "B" ظهرت طبقة لم تسكن من قبل الانسان وتقدر بحوالي ١٧٠٠٠ سنة •

اما الطبقة التي جاءت بعدها فهي الطبقة "C" ويقدر زمنها بحوالي ٢٩٠٠٠ سنة الى اكثر من ٣٤٠٠٠ سنة • ســـمكها حوالي ثمانية اقدام ، وظهرت فيها بقايا رماد وفحـم حجري وآلات صوانية تشابه آلات حضارة العصر الحجـــري المتأخر في اوربا والمعروفة بالاوركنيشي ، ولم تظهر مثل هذه الحضارة في اى مكان اخر في العراق بل انها ظهرت فقط في كهف شانيدار ، ولهذا سميت حضـــارة طبقة "C" بالحضـــارة البرادوستية •

اما في الطبقة الرابعة "D" فقد ظهر بانها طبقة سميكة يقدر سمكها بحوالي تسعة وعشرين قدما ، وان زمنها يقدر بـ ٤٥٠٠٠ سنة • وفي هذه الطبقة عثر على ثلاث هياكل عظمية لانسان النياندرتال ومن بينهـــا هيكل أول طفل يعـــود لهـــذا الانسان[١١] •

٢ ـ كهف زرزي :

يقع شمال غرب مدينة السليمانية في وادي جمجمال •

(10) Ralph S. Solecki, Shanidar Cave, (1955), P. 427.

(11) Ralph S. Solecki, Shanidar Cave, (1957), Scientific American, No. 5; PP. 60-63

ان موقع هذا الكهف قد جعل منه مكـــانا مثاليا ملائما لسكنى انسان العصر الحجري القديم حيث انه لايبعد عن المصدر المائي الذي يعتبر عاملا مهما في اختياره محلا للسكنى •

ففي عام ١٩٢٨ نقبت الاستاذة دوروثي كارود في هذا الكهف ووجدت ادوات حجرية كثيرة العدد عند فتحة الكهف من الخارج وهي تشمل ادوات صوانية واحجار بركانية ومقاشط حجرية وعظام حيوانات ، وان جميع هذه المواد الحضارية تعود الى العصر الحجري القديم •(١٢)

٣ ـ كهف هزار مرد :

يقع جنوب غرب مدينة السليمانية ، ويعتبر هذا الكهف ثاني اقدم موقع في بـلاد مـــا بين النهرين •

يسمى ايضا بالكهف المظلم وذلك لان داخل هذا الكهف مظلم جدا • ان صناعته وصناعة كهف زرزي موازية احداهما للاخرى •

ان طبقـات هزارمرد تمثـل من الاعلى الى الاسفل وهي العصر الحجري المتأخر واكثر مواد هذا الكهف تشمل على الصوان بدون استعمال لب الصوان •(١٣)

وفي عام ١٩٥١ استطاعت جامعة مشيكان من ارسال بعثة لتحري مواقع الكهوف في منطقـــة راوندوز وقد درست البعثة المنطقة وكانت نتيجة ذلك التحري الوصول الى معرفـــة خمسة عشر كهفا •

تقع منطقة راوندوز في الشمال الغربي من جبال زاكروس وان هذه الجبال تختلـــف في ارتفاعها من ٢٠٠٠ر٢ قدم الى حوالي ٥٠٠٠ر قدم• ولقد اعتبرت منطقة راوندوز الموطن المحتمل لانسان ما قبل التاريخ في العراق •

استطاع الدكتور رالف سوليكي مـــن التحقيق عن كهفين صغيرين يحاذيان راوندوز من الشرق أكبرهما يسمى « شكفت كوتيك » ، وقد وجد عند مدخل هذا الكهف حفرة كشف فيها طبقات من الفحم الحجري والرماد • وهذا دليل على ان هذا الكهف قد سكن من قبل انسان العصر الحجري القديم • اما الكهف الاخـــر فكان أصغر من الاول ولكن ظهرت فيه نفس صفات الكهف الكبير •

اما الكهف الثالث فيسمى « هاوديان » وكان من الحجر الكلس ، وكشف فيه عن ثلاث غرف كبيرة وجد في احداها شظايا صوانية اما في مقدمة الكهف فقد عثر على مئات الشظايا الصوانيـــة وكلها تدل على السكنى من قبـل إنسان العصر الحجري القديم •(١٤)

٤ ـ كهف بالي گوار :

ان هذا الكهف عبارة عن ملجأ صخري يقع عند حافة باراناند داغ ، وعلى بعد عشرين كيلو مترا شمال شرق قلعة جرمو • يرتفع عـن مستوى سطح البحر بحوالي ٣٢٥٠ قدما ، وان فوهة الكهف باتجاه الجنوب الشرقي ، وترتفع

(12) D.A.E. Garrod, Excavation in the Caves of Zarzi and Hazar Merd. (1930), PP. 12-14.

(13) Ibid, P. 14.

(14) Ibid, P. 8.

بحوالي ٧٠ مترا فوق مستوى سهل بازايان • اما فتحة الكهف فيقدر ارتفاعها بثلاثة امتار ، وان طول قاعة الكهف خمسة امتار وعرضها حوالي ستة أمتار • اما المجاميع الحضارية التي انتجها هذا الكهف فيبدو انها تمثل تطورا متأخرا لصناعة زرزي •(١٥)

أهم الكهوف في ايران :

١ ـ كهف هوتو :

يقع هذا الكهف الى الشمال من كهف بيهستون والى الشرق من كهف بيلت •

ان التنقيب في هذا الكهف قد اظهر طبقات عديدة وعلى اعماق مختلفة ، وقد ظهرت في الطبقة العليا منه كميات كبيرة من عظام حيوانات وهي تمثل عظام ثيران وحمير وخنازير وغزلان وأغنام وماعز ، وحينما وصل الحفر الى أسفل الطبقة العليا والى عمق خمسة امتار من سطح الكهف عثر على فخار يعود الى العصر الحجري الحديث وهو فخار غير ملون ناعم الطينة يشابه النوع الذي عثر عليه في كهف بيلت • وفي نفس هذه الارضية عثر كذلك على فؤوس حجر مصقولة وازاميل حجر وشفرات مناجل صوانية •

وعند النزول بالحفر الى عمق ١٥ر٧م ظهرت ارضية تعود الى العصر الحجري الحديث ايضا (النيوليثك) وظهرت تربة تختلف اختلافا كليا عن التربة التي ظهرت فوقها • وفي هذه التربة عثر على كميات كبيرة من المواد الصوانية • ان كل المواد التي ذكرت من اعلى الطبقة والى الاسفل قد وجدت في خندق (أ) •

وعند البداية بالحفر في خندق (ب) ظهر الفخار الملون كما ظهرت مواد غير مزخرفة من العصر الحجري الحديث •

ان هذه الطبقة قد انتهت بعد الحفر فيها الى عمق ٥ر١٢م حيث ظهرت تحتها ارضية ذات تربة ناعمة بيضاء اللون • ان هذا النوع من التربة اى البيضاء الكلسية هي الشائعة والتي تظهر دائما في اعماق الكهوف •

ان خندق (ج) قد انتج مواد حضارية تعود للفترة الاسلامية •

اما على طول الواجهة الشمالية الشرقية للخندق (د) فقد اخذ جدار الكهف ينحدر نحو الداخل وهذا يدل على ان كهف هوتو لم يكن كهفا مسطحا وكبير العمق ، ولكنه ظهر على شكل حرف (٧) وهو في شكله يشبه الى حد بعيد كهف بيهستون •

ان التسلسل التاريخي الذى اظهرته الطبقات المختلفة في كهف هوتو قد حصل عليها بواسطة تحليل المواد الحضارية التى عثر عليها في كل طبقة وقد اعتمد في ذلك على طريقة كاربون (١٤) • وان هذا التسلسل قد رتب الى سبع مجاميع كل منها يمثل حضارة تختلف عن الاخرى ومنفصلة عن بقية الحضارات والسبب الرئيسي في ذلك هي التغييرات الناتجة عن اختلاف نوع التربة • وان المجاميع الحضارية السبع من اعلى الى أسفل الكهف هي :

الاسلامية	٧٣٠ ميلادية
الفرثية	٢٥٠ ق•م

(15) Robert Braidwood, Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan (1960), PP. 28-29.

عصر استعمال الحديد	٧٥٠–١٠٠٠ ق٠م
الفخار الملون	٢٨٨٠ ق٠م
العصر الحجري الحديث (النيوليثك)	٦٣٨٥ق٠م
العصر الحجري الحديث الاول	٨٠٧٠ق٠م
فترة صيادي عجل البحر	١١٨٦٠ق٠م

ان التاريخ للفترة الاسلامية الذى جاء فى مقدمة هذه المجاميع قد ظهرت معالمه الحضارية في خندق (ج) وقد حصل عليه من خارج الكهف بعد ان اصبح الكهف مغلقا • حيث ان مدخل كهف هوتو لابد وان اغلق في حوالي أو بعد فترة قصيرة من زمن المسيح •

أما الفترة البارثية فكانت في الحقيقة امتدادا غامضا من التاريخ وهى تقع ما بين الامبراطورية الساسانية الاولى والمتأخرة ولكن لم تظهر اى منهما في كهف هوتو •

ان الفترة الثالثة تعتبر أغنى المجاميع السبع وذلك بالنسبة لعمق التربة وبسبب ظهور نماذج حضارية متعددة • وان المجاميع الفخارية والمعدنية التي عثر عليها ستلقى ضوءا جديدا على نوع الاتصالات الحضارية فيما بين سواحل بحر قزوين الشرقية والمناطق المجاورة لها •

وقبل الوصول الى فترة عصر استعمال الحديد ظهرت فجوة تاريخية تقدر بحوالي الفي سنة • وقد احتلت هذه الفجوة في مكان آخر من قبل العصر البرونزي • ولكن قبل ذلك ظهرت فترة الفخار الملون في حوالي ٢٨٨٠ ق٠م وحتى ٣٣٦٠ ق٠م وان هذا التاريخ يناسب ما نعرفه عن حضارات الفخار الملون في أجزاء أخرى من الشرق الادنى •

اما عند قاعدة طبقة الفخار الملون فقد ظهرت طبقة العصر الحجري الحديث وهي تطابق تماما نفس الطبقة التي ظهرت في كهف بيلت • اما اعمق الطبقات فانها قد انتجت تربة حمراء مسودة ولكنها لم تنتج فحما حجريا ولذا فان حالتها هذه تجعلها ان تكون اقدم من ٩٩١٠ سنة ق٠م• كما جاء ذلك من تحليل تربتها ومع هذا فانها كانت تكنولوجيا قد اعتبرت من عصر الميسوليثك •

من كل ما تقدم فانه ليس هناك اى سبب للاعتقاد بان الاناس الذين عاشوا في كهف هوتو في بداية السكنى فيه والى الفترة التى ظهرت فيها التربة الحمراء الاولى التي ذكرت سابقا كانوا اناسا يختلفون عن اولئك الاناس الذين عرفوا باسم صيادي عجل البحر في كهف بيلت[١٦] •

٢ ـ كهف بيهستون :

بيهستون عبارة عن قرية صغيرة تبعد حوالي ثلاثين ميلا الى الشرق من مدينة كرمنشاه • وعلى ارتفاع ٤٥٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر • يشرف كهف بيهستون الصغير على منطقة مليئة بالينابيع والمراعي •

ان طبقة صخور هذا الكهف كلسية ذات لون وردي تقريبا وهو ذو طبقات افقية يقدر عرضها بخمسين قدما • تنحدر تدريجيا الى جهة الشمال الشرقي وان احدى الشقوق الكثيرة في هذه الطبقات تتجه الى القسم الوسطي من نص داريوس الشهير • اما الشق السفلي فقد اتخذ شكلا يشبه الغرفة والتي منها تشكل الكهف الصغير الذي يقع

(16) Carleton, S. Coon, Seven Caves, (1957), PP. 168-170, 178, 179, 192, 197, 198, 199, 203.

على ارتفاع تسعة وعشرين مترا فوق مستوى عيون المياه ، فالكهف نفسه هو حصيلة شق عمودي قد طرأ على اسفل الطبقات الصخرية في هـذه المنطقة •

ان كهف بيهستون صغير في مساحته بحيث انه لا يسع لجلوس أكثر من ستة أشخـاص في أي فترة من الفـترات التي سكن فيهـا الانسان • وبلا شك فان الصيادين قد طبخـوا وأكلوا وناموا في المكان الذى هو الان عبارة عن طريق معبد ، مستخدمين في ذلك الكهف نفسه لرمي الفضلات أو ربما استخدم كمخزن أو انه استعمل لكلا الغرضين • وفي نفس الوقت فانـه استعمل كملجأ في مناسبات خاصة هربا من الامطار والثلوج •

لقد ظهرت في كهف بيهستون طبقتـان من التربة فقط ، تربة رمادية اللون في الطبقة العليا وتربة محمرة تعود الى عصر البلايستوسين •

وان القسم الاول العلوي من التربة الحمراء قد احتوى على كسر أواني وكسرات قليلة من المعدن ، والشك الحاصل هنا هو ان كلا الفخار أو المعدن كانا غير معروفين في هذا العصر •

ان طبقة عصر البلايستوسين لا تظهـر اى تبدل في لون التربة لتكون كافية لمعرفة تعاقب السكنى في هذا الكهف وكذلك لمعرفة التبـدل المناخي•أما في الجزءالعلوي فأنالتربة تظهرخشنة ومليئة بقطع الكلس وان هذه القطع الكلسية قد اختلطت مع الصخور الكبيرة الحجم ، فانه تحت سقف الكهف مباشرة عثر على خمسين صخـرة كانت قد سقطت وتكومت الواحدة فوق الاخرى وشكلت ما يشابه الجدار •

في كهف بيهستون يمكن تمييز ثلاث فترات رئيسية هي : فترة البلايستوسين وهذه تصل الى المستوى الذي وجد فيه الفخار الدخيل وفترة ما بعد البلايستوسين حينما اصبح سطح الكهف خاليا من اية مادة حضارية حيث ان جميعها قد تحولت الى تربة واختلطت بتربة الكهف ، وثالث هذه الفترات هى الفترة التي تشكلت اثنائها التربـة الرمادية اللون • ان الفترة الاخيرة هذه تعتبر فترة تاريخية والفترة الوسطى أي الثانية هي مزيج فيما بين الفترة الاولى والثالثة اما الفترة الاولى فترة البلايستوسين فهي التي زودتنـا بالبقايـا الحضارية والهياكل العظمية لانسـان النياندرتال ومنها فقط استطعنا الحصول على معرفة تامة بهذا الانسان في منطقة ايران ولذلك فان لهذه الفترة أهمية خاصة •

المواد الحضارية في كهف بيهستون :

ان التنقيب في كهف بيهستون قد انجـز بالنزول من طبقة الى طبقة ففي الطبقة (أ) ظهرت التربة الرمادية اللون التي ذكرت سابقا وهـذه هي الطبقة التاريخية •

اما طبقة (ب) فتتمثل بالقسم العلوي منها والذى يبعد بحوالى ٢٥ـ٣٠ سم عن تربة الكهف الحمراء من عصر البلايستوسين ، وتنـزل الى أسفل الطبقة والتي ظهرت فيها كسرات الاواني الفخارية الدخيلة ، ومن هذا المستوى والى الاسفل فان كل ما وجدت مواد حضارية تعود الى الفـترة الثالثة التي تدخل ضمن عصر البلايستوسين ، وكذلك مواد حضارية تعود الى العصر الحجـري

القديم الاول (الباليوليثك) وهذا بدوره يقع ضمن عصر البلايستوسين ايضا •

اما طبقة (جـ) وهذه تصل الى عمق ٣٠ر١م من المستوى الذي ينعدم فيه الفخار ، ان تربة هذه الطبقة حمراء حصوية ، ولم تظهر فيها مواد حضارية •

اما طبقة (د) فتصل الى عمق من ٣٠ر١–٦٠ر٢م وهي تشمل تلك المساحة التي عثر فيها على الصخور المتساقطة • وبعد النزول في الكهف من عمق ١٠ر٥م والى الاسفل ظهرت مساحة لا تتعدى كونها حفرة لا اهمية لها •

اما فيما بين طبقة الصخور المتساقطة وهذه الحفرة فقد ظهرت طبقة ذات سمك ٥٠ر٢م وفيها ظهرت بقايا حضارية لمواد صوانية منبسطة •

وان بين المواد الحضارية ظهرت بعض الاختلافات وخاصة بين الآلات المعمولة وغير المعمولة • وكذلك هناك اختلاف نسبي بين القطع العظمية والقطع الصوانية ، فالقطع العظمية قد وجدت في كل أجزاء التربة السمراء وحتى انها ظهرت في طبقة الصخور المتساقطة •

ان الانسان الذى عاش في كهف بيهستون لم يحضر طعامه في الكهف نفسه والدليل على ذلك هو عدم وجود مواقد استخدمت لهذا الغرض • ولهذا السبب فان الاناس الذين سكنوا كهف بيهستون وهم من نوع النياندرتال قد اعتبروا داخل الكهف عبارة عن مكان مقدس ولذلك اتخذ كمزار او احيانا كمحل خزن ، ومن دراسة الحالة الاجتماعية ظهر بان بعض المواد الحضارية الاكثر اهمية قد وضعت في مكان معين من الكهف وان لهذا المكان تأثيراً سحرياً لحفظ تلك المواد • وان الدراسة الاجتماعية لهذا الكهف قد دلت على انه اصلح مكان للطوطمية حيث ان صفات معينة لموقع الكهف قد شجعت على وجود ناحية دينية بارزة في هذا الكهف ، فسفح الجبل وانتشار عيون المياه وقربه من منطقة صيد كلها ادت الى الاعتقاد بالروح الدينية في هذا الكهف •

عثرت بعثة التنقيب على اكثر من الف آلة كاملة الصنع وقد صنفت الى اربعة انواع متميزة هي : – ١ – لب الصوان الذى يمثل حضارة العصر الحجري القديم الاول وقد شاع استعماله أيضا في الحضارة المستيرية ٢– الشظايا ٣– الشفروية ٤– الشظوية •

ان كل هذه الصناعات تعتبر اجزاء لآلة كاملة تعود لصناعة موحدة •

وعثرت البعثة ايضا على مجموعة من الاقراص الصوانية السميكة وهي آلات مدورة ملائمة لقشط ونجر وقطع المواد الصلبة •

المواد الفخارية :

ان الكسرات الفخارية الكثيرة العدد التي عثر عليها في طبقة (أ) تدل على فترة سكنى تاريخية وان الفخار هذا كان معمولا بواسطة دولاب الفخار ، ولقد عثر على جرار كبيرة الحجم استعملت للخزن • اما في طبقة (ب) فان الفخار المعمول بواسطة الدولاب يصل الى اسفل الطبقة[١٧] •

(17) Carleton S. Coon, Cave explorations in Iran, (1951), PP. 6-15, 33-36, 53, 54, 61, 65.

٣ ـ كهف تامتاما :

تامتاما هو الاسم المحلي للكهف ، وهو يقع على بعد ثلاثة عشر ميلا الى الشمال من مدينة الرضية ومن فتحة الكهف يمكن رؤية بحيرة اورومیا • وهو على ارتفاع يقدر بحوالي خمسة آلاف قدم • تقع خلفه سلسلة جبال ويشرف الكهف على سهل فسيح •

بعد النزول الى حوالي المتر وصلت البعثة الى ارض صخرية وتحتها ظهر مقطع ذو تربة صفراء وتربة رملية ولاشك انها تعود الى عصر البلايستوسين وان هذه المساحة مليئة بقطع كلسية كبيرة كانت قد سقطت من سقف الكهف • ان مظهرها يشابه الى حد بعيد تلك الطبقة التي عثر فيها على الصخور المتساقطة التي ظهرت في كهف بيهستون • لم يعثر في هذه المنطقة على مواد صوانية ولكن ظهرت كميات قليلة من المواد العظمية •

وتحت هذه الطبقة ظهرت ارضية ذات تربة رملية صفراء وقد عثر فيها على مواد حضارية ولذلك فهي قابلة للمقارنة مع تلك التربة السمراء التى ظهرت في كهف بيهستون •

ان كهف تامتاما يعتبر كهفا فقيرا بمواده الحضارية ولهذا عد مسكنا لاناس فقراء جدا ولكونه شاهق الارتفاع وشديد البرودة فانه لم يستعمل من قبل الاناس الذين سكنوه لمدة طويلة •

المواد الحضارية :

عثرت البعثة على ٢٤ قطعة عظمية وصوانية وجدت في الطبقة السفلى ذات التربة الصفراء اللون وكلها كانت في حالة رديئة حتى الاسنان والفكوك لم تستطع تركيبها بشكل صحيح[١٨] •

٤ ـ كهف كونك :

ان الكهوف في منطقة جنوبي خراسان نادرة ويعتبر كونك ليس أكثر من ملجأ صخري • وقد ظهرت على سطحه آلات من العصر المستيري وكلما حاولت بعثة التنقيب النزول بالحفر فان الحصول على المواد الحضارية كان يقل تدريجيا •

أما المواد الفخارية فهي نادرة أو حتى غير موجودة في الطبقات السفلى •

يوجد أخدود في كتف الجبل الذي يقع فيه كهف كونك ويبدو انه كان الممر الرئيسي الذى طرقه أناس العصر الحجري القديم الاول للوصول الى السطح ، وفوق هذا الاخدود وجدت بقايا كهف صغير ربما كان قد دمر بتأثير زلزال حدث في فترة من الفترات بعد ان شيد تحته المستوطن •

ولعدم وجود ما يشير الى التسلسل الحضاري في هذا الكهف فلقد اعتبره المنقبون عبارة عن موقع سطحي •

ان المواد الحضارية التى حصلت عليها البعثة عبارة عن مواد صوانية قليلة واسنان حصان متحجرة وشظايا عظام قليلة[١٩] •

صناعة كهف كونك :

ان صناعة كونك مماثلة لتلك الصناعة التي ظهرت في كهفي بيهستون وتامتاما • وان أغلب المواد الصوانية قد حصل عليها من سطح

(18) Ibid, PP. 15, 20, 36, 44, 65.
(19) Ibid, P. 20, 21.

الكهف ، ويبدو ان المواد الحضـــارية لكهف كونك مشابهة لاقدم المواد التي ظهرت في كهف بيهستون وفي بعض الحالات فان المواد الحضارية لكونك تبدو متقدمة في صناعتها مما هي عليه في كهف بيهستون[٢٠]

٥ ـ كهف بيلت :

يقع على بعد حوالي خمسة أميال الى الغرب من بيهشاهر وعلى بعد حوالي أربعـة أميـال من بحر قزوين •

ان مستوى سطح الكهف يقـــع بحوالى خمسة أمتار فوق مستوى الطريق الرئيسي • وتقـدر مستوى فتحة الكهف بـ ١٢٠ قدماً أو حوالى ٤٠م فوق مستوى بحـــر قزوين • لقد تآكل كهف بيلت من قسمـه العلوي وذلك من جراء تأثير مياه البحر •

ان ارضية الكهف تنحدر تدريجيا الى فتحه الكهف وان اقصى عمق فيهـا يقـدر بأكثر من ستة أمتار • وعند اعمق مساحة في الكهف عثر على بعض بقايا الفحم الحجري مع بقايا كسرات عظمية ، ولم تكتشف مستويات السكنى في هـذا الكهف بشكل واضح الى ان وصلت البعثـــة الى طبقة ٢٦ • أما طبقة ٢٧ ، ٢٨ فقد احتوت على مواد حضارية • أما أعمق هذه الطبقـــات فكان محتويا على كميات كبيرة من الرماد مع اعـــداد هائلة من الصوان وخصوصا في القسـم الخلفي للكهف • ولقد احتوت هذه الطبقة على مواقد • أما عند مقدمة الكهف فقد ظهرت تربة ناعمـة ممزوجة بعناصر مختلفة وفوقهـا ظهرت طبقـة سميكة سمراء اللون غنية بموادها الحضارية فقد عثر فيها على قبر يضم هيكلين مع كسرات عظمية أخرى تعود لجنس بشـري مع كميات من مواد عظمية تعود لقـــرون غزال مع كمية قليلة من الصـــوان •

ان هذه الطبقة تنتهي عند طبقة (١٠) والتي ظهرت فوقها مباشرة مساحة رمادية تحتوي على صخور متساقطة مع كميات من الرماد وهـــذه الدلائل تشـــير بكل وضوح الى فترة العصـر الحجري الحديث[٢١] •

المواد الحضارية :

ان الصـــورة التي حصل عليها في كهف بيلت أكثر تعقيدا من تلك التي جاءت من كهف بيهستون حيث انهـــا في بيهستون تمثل سكنى رئيسية واحدة اما في كهف بيلت فقد ظهر بأن هناك ثلاث أو أربع حالات سكنى • وان معدل كثافة المواد الحضارية في هـــذا الكهف يعتبـر اعلى مما هو عليـــه في كهف بيهستـون • ففي بيهستون ظهرت حضارة واحـدة رئيسية أما في كهف بيلت فقد ظهرت ثلاث حضارات متميزة هى : ١ ـ عصر الميسولثيك الاول ٢ ـ الميسولثيك المتـــأخر ٣ ـ النيولثيك (أو العصر الحجري الحـديث) •

ففي عصر الميسولثيك الاول ظهرت كميات هائلة من المواد الصوانية ولهذا اعتبـــر كهـف بيلت في هذا العصر عبارة عن مصنع لهذه المواد ولاسيما في قسمه الخلفي •

أما في فترة الميسولثيك المتأخر فقد انعكست

(20) Ibid, P. 66, 67.

(21) Ibid, PP. 20, 31.

الصورة حيث انعدم استعمال لب الصران تقريبا وان معدل الآلات الصوانية قد انخفض جدا[٢٢] •

أما بالنسبة للمواد العظمية فانهـــا في فترة الميسولثيك الاول لم تظهر اعداد كبيرة منها وهذا يدل على ان الاناس الذين سكنوا الكهف لم يجلبوا معهم الى الكهف كل ما استخـدموه في حياتهم اليومية • أما اثناء فترة الميسولثيك المتأخر فقد أصبحت التربة مليئة بالمواد العظمية ويقررن الحيوانات وهـذا يدل على ان الصورة قـد انعكست في هـذه الفترة حيث ان اناس هـذا الكهف قد طبخوا وجبـاتهم المشتملة على اللحـوم ، بينمـا كانت القرون الحيوانية هي الغالبـة في عصر الميسولثيـك المتأخـر حيث عثر في طبقـة عصر النيولثيك على خمس كسر لقرون تعود جميعها للماعز • من هذا نستنتج بأن أناس الميسولثيك المتأخر ربما قد ادخلوا القرون فقط الى داخل الكهف وتركوا بقيـة عظام الجمجمة في الخارج •

ان الاستنتـاج الوحيـد هـو ان فترة النيولثيك في كهف بيلت كانت عبارة عن وحدة حضارية بل انها عبـارة عن حضـارة ترعرعت وتغيرت من جراء ابتـداعات جديدة بواسطـة أناس الكهف أو من جراء تأثيرات خارجية •

ففي فترة الميسولثيك المتـأخر كان أناس الكهف عبارة عن صيادين يتجولون في الغابات والسهول لصيـد الحيوانات من أجل الحصول على لحمها وكان همهم الرئيسي هو الحصول على الغزلان والثيران • ولقد اصطادوا بالاضافـة الى ذلك الماشية البرية والماعز البري ، وفي خلال هذا الوقت بدأوا بتدجين الماعز •

أما في بداية النيولثيك وقبل معرفة أناس الكهف زراعة الحبوب وصنع الفخار واستعمال الفؤوس الحجرية فانهـم بدأوا برعي الاغنـام والماعز لذبحها والاستفادة من لحمهـا • ولكن بعد ان عرفوا الحبوب وصنع الفخار واستعمال الفؤوس الحجرية فانهم بدأوا بحلب ماشيتهم وجز صوفها • وفي هذا الزمن أو بعـده بفترة قصيرة دجنوا الثور والخنزير أيضا[٢٣] •

تاريخ الطبقات في كهف بيلت :

ان علمـاء الآثار يستخدمون طرقاً متعددة لمعرفة تأريخ الطبقات واحدى هذه الطـرق تتم بواسطة علم الجيولوجي ، والطريقـة الاخرى تتم بواسطة مقارنة المواد الحضـارية التي يعثر عليهـا في كـل طبقـة بمـواد طبقـات المواقع الاخرى • أما الطريقة الثالثة فتتم بواسطـة ارسال بقايا متفحمة تحتوي على مادة الكربون الى مختبرات الطاقة الذرية •

أما بالنسبة للعظام المتفحمة التي جاءت من كهف بيلت وبصورة خاصة من الطبقات ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ فقد ظهرت نتيجة تحليلها انها تعود الى بداية العصر الحجري الحـديث ٨٠٨٥ ـ ١٥٠٠ ق٠م•

أما الطبقة الحادية عشر فقد ظهرت مباشرة تحت العاشرة وتعـود الى عصر الميسولثيـك (١٠٥٦٠ + ٦١٠ ق٠م) •

أما الطبقـات ١٥ ، ١٦ فتقع في مركـز

(22) Ibid, P. 37.

(23) Ibid, 40, 41.

الميسولثيك المتأخر (٨٥٤٥ + ٥١٠ ق٠م) ٠

اما الطبقات ٢٦-٢٨ فهي تقع عند قاعدة الميسولثيك القديم[٢٤] ٠

اهم الكهوف في افغانستان :

كهف كاراكامار :

كاراكامار تعني الجوف المظلم ٠ نقب هذا الكهف من قبل بعثة متحف الجامعة التابع لجامعة بنسلفانيا ٠

يقع مقابل جبل كوك جار الشهير في افغانستان ٠

ان طريقة التنقيب في هذا الكهف قد تمت بتقسيم مساحته الى مقاطع ، وقد حفر خندق في كل مقطع ٠

فالتربة التي ظهرت في المقطع الذى شمله خندق (أ) ذات لون أبيض عديم الرطوبة ٠

لم تعثر بعثة جامعة بنسلفانيا على مواد عظمية تعود للكلاب في هذا الكهف ، ولكنها عثرت على كميات كبيرة لبقايا حيوانات من نوع آخر وبصورة خاصة حينما وصل الحفر الى خندق (ب) و (جـ) ٠

وبعد أن وصل الحفر الى عمق مترين في خندق (أ) ظهرت آلات صوانية تعود الى عصر الميسولثيك ٠

أما في خندق (ب) فان قاع الخندق هذا أخذ بالانحدار نحو الاعلى وفي خندق (جـ) وصل هذا الانحدار الى السطح تقريبا ٠

ووجدت أعداد كبيرة من الصخور المتساقطة من السقف في كل من هذه الخادق وفي فترات مختلفة ٠

وفي جزء من خندق (ب) وكذلك تحت الارضية السفلى لخندق (جـ) ظهر منخفض ذو تربة سمراء عثر فيه على آلات أخرى من عصر الميسولثيك ٠ وتحت هذه المواد الحضارية عثر على ثلاث مجاميع حضارية بارزة ٠ ومن هذه المجاميع الحضارية الشظايا الصوانية وكذلك لب الصوان ولكن لب الصوان لم يكن دقيقاً في صناعته كما هي الحالة في كهف بيهستون ، فالقسم الغالب الرئيسي من الصناعة التي وجدت في هذا الكهف هي استعمال نوع من الشظايا البسيطة الصناعة ٠ وتحت هذه الطبقة مباشرة عثر على كميات كبيرة أخرى من المواد الصوانية ووجدت بالقرب منها بقايا مواقد والتي منها حصل على مادة الفحم الحجري ٠ وان لهذه المواد الصوانية خصائص تميزها على انها تعود لحضارة الباليولثيك المتأخر وتوازي هذا العصر في كل من فلسطين وفرنسا ٠

انه لمن الممكن القول بأن الحيوان الرئيسي الذي اصطاده الانسان الذي سكن هذا الكهف في عصر الميسولثيك كان الغزال ، وبعض المواشي البرية ويبدو ان المواشي البرية كانت مفضلة من قبل انسان هذا الكهف ولاسيما في الطبقات الاولى ٠ ومن المواد العظمية الاخرى التي عثر عليها يتبين ان الحصان قد اصطاده انسان هذا الكهف أيضا ولاسيما من قبل الاناس الذين استعملوا صناعة الشفرات في عصر الباليولثيك المتأخر ٠

(24) Ibid, P. 44, 50.

يبدو مما تقدم بان هذا الكهف سكن من قبل نوعين من الجماعات ، فالجماعة الاولى التي سكنت هذا الكهف كانوا صيّادين وعلى ايديهم تمت صناعة الشظايا في وقت كان فيه المناخ دافئا ، وبعد ذلك وحينما أصبح المنـــاخ باردا جاءت الجماعة الثانية والتي على يدهـــا تمت صناعة الشـــفرات وكان ذلك في عصر الباليـــولثيك المتأخر(٢٥) .

(25) Carleton S. Coon, Seven Caves, (1957), PP. 205, 224, 229, 230, 231, 232 234.

اهم مصـادر البحث

1. Anton Lübke, The World of Caves, (1958),
2. Carleton S. Coon, Seven Caves, (1957).
3. V. Gordon Childe, Man makes himself. (1967).
4. Robert J. Braidwood, Prehistoric Men, (1967).
5. Ralph S. Solecki, Shanidar Cave, (1955), P. 427.
6. D.A.E. Garrod, Exavation in the Caves of Zarzi and Hazar Merd, (1930), P. 12-14.
7. Ralph S. Solecki, Shanidar Cave (1957), Scientific American, No. 5; PP. 60-63.
8. Robert Braidwood, Prehistoric Investigation in Iraqi Kurdistan (1960), PP. 28-29.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی